• تحقيق: ليلى الشافعي

علماء الشرع والنفس: حببوا أبناءكم في أداء الفرائض ولا ترهبوهم أو تضربوهم

الداعية الإسلامي أحمد القطان

د.أحمد الكوس

الداعية والمربي يوسف السويلم

د.مصطفى أبوسعد

د.محمد رشيد العويد

د.سعاد البشر

قال الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)، وقال أيضا: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك)، وقال رسوله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر»، وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «من كان عنده صغير مملوك أو يتيم أو ولد فلم يأمره بالصلاة فإنه يعاقب الكبير إذا لم يأمر الصغير ويعزر الكبير على ذلك تعزيرا شديدا لأنه عصى الله ورسوله» وهذا كله لأن الصلاة هي الصلة بين العبد وربه وإذا كنا نخاف على أولادنا بعد مماتنا من الشرور ونسعى لتأمين حياتهم في شتى الجوانب فهذا لن يكون إلا بتأمين صلتهم بالله عز وجل. والسؤال: كيف نربي أبناءنا على أداء الفرائض الدينية؟ وهل يكون بالضرب والغلظة والإكراه؟ أم بالإقناع واللين وتحبيب الطاعات؟ هذا ما يوضحه لنا علماء الشرع والتربية والنفس.

القطان: الصراخ والتعنيف والضرب أمور تجعلهم ينفرون من أداء العبادات وعلى الأبوين النصح بالموعظة الحسنة واللطف واللين

الكوس: حذار من ضرب الطفل حتى لا يكره الصلاة والأمر يحتاج إلى صبر وهدوء وحكمة

السويلم: فليكن الأب هو المعلم والقدوة فيجعل الصلاة للأبناء متعة ولا يجعلها عقاباً

أبوسعد: الضرب والإهانة يأتيان بنتائج عكسية ويصاب الطفل بعقدة نفسية فعلينا تشجيعه لا تنفيره

العويد: الطفل يعزر تأديباً لا عقاباً إذا ترك الفرائض ويضرب ضرباً غير مبرح إذا أصر على موقفه

البشر: عقوبة الطفل المقصر في العبادات تكون عاطفية فتأثيرها فعال وتغير من سلوك الطفل ثم يأتي دور التأنيب والزجر

البعد عن التهديد

يؤكد الداعية الاسلامي احمد القطان ان الابتعاد عن الترهيب والتهديد والوعظ يحبب أبناءنا في أداء الفرائض ويوضح لنا بعض الخطوات التي يجب ان يقوم بها كل اب وكل ام لكي نستطيع ان نحبب اولادنا في اصول العبادات وتأدية الفرائض، فيقول: كل مولود يولد على الفطرة والطفل يكتسب كثيرا من السلوكيات بسهولة في بداية عمره، فلذا علينا ان نربيهم على حب الخير وحب العبادات اي يؤدونها بحب واقبال عليها وليس خوفا من العقاب.

واضاف الداعية القطان: كما يجب على الاب ان يصطحب ابنه معه الى المسجد بعد ان يكون قد علمه اداب المسجد واجلاله.

وشدد القطان: على اهمية تشجيع الام طفلها على تعلم القرآن وحفظه وقال ان تعليم الصغير اصل لما بعده واكثر رسوخا في ذهنه ويجب على الام ان تفهم الطفل ما يقرأ، فقد حفظ كثير من سلف هذه الامة القرآن منذ الصغر بفهم جيد، وضرب القطان مثلا لذلك بالامام الشافعي رحمه الله يقول: حفظت القرآن وانا ابن سبع سنين وحفظت موطأ مالك وانا ابن عشر.

القدوة الحسنة

وقال الداعية القطان: لا شك ان للقدوة الطيبة اثرا كبيرا في استحسان الطفل، فالطفل الذي يرى اباه يقرأ القرآن ويتدبره ينشأ على تعظيم القرآن وتوقيره فان خير ما يترك الابوان لابنائهما حفظ كتاب الله والعمل بما جاء فيه ومن المفروض ان نفسر للابناء على قدر فهمهم ولكن لا نلح على الطفل حتى لا يسأم كما يفعل بعض الآباء والامهات الذين لا يتركون الطفل يترك القرآن من يده وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا.

وطالب الداعية القطان باهمية تشجيع الطفل على حفظ ما تيسر من القرآن والاحاديث النبوية والادعية والاذكار مع مكافأة الابن على ما يحفظ وذلك حتى نشجعه على الاستزادة من العلم.

ووجه الداعية القطان نصيحته الى كل اب وكل ام قائلا: لا تكره طفلك على المداومة على الحفظ دون اعطائه وقتا للراحة او اللعب.

تحذير

وحذر القطان من عدة عوامل تؤدي الى هدم البناء الديني عند الابناء ونحن نريد ان يعمر هذا البناء في قلوب ابنائنا، ومن اهم هذه العوامل الضارة قال تحويل العبادات الى مجرد طقوس لا معنى لها ولا روح، وكذلك التعليمات التي يتلقاها الابن من ابويه وهما يقومون بفعل عكسها، وكذلك الاكراه على تطبيق الشعائر الدينية، فنرى من يهمل في تربية ابنائه حتى اذا وصل الى سن المراهقة وقد ترك العبادات لجأ ابواه الى الضرب لاجباره على الصلاة فأين كان ذلك الاب في السنوات السابقة؟ ولماذا لم يغرس في ابنه حب العبادات والفرائض.

الضرب غير المبرح

ويؤكد الداعية د.احمد الكوس ان تعويد الاطفال على أداء الفرائض والعبادات يجب ان يقترن بالمفاهيم التي تربطهم وتدربهم على مكارم الاخلاق فالصوم يعود الطفل على المراقبة الذاتية والامانة في علاقاته بربه وبمن حوله وبالمجتمع وهو سلوك نحن في أمسّ الحاجة الى ترسيخه في نفوس النشء فتقوى لدى الطفل قيمة الايمان بالله عز وجل كذلك يجب اختيار الاصدقاء المحافظين على الصلوات وان نصطحب ابناءنا الى المسجد ونشجعهم ونثني عليهم وان نصبر عليهم (وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها) ونذكرهم بالقدوات الحسنة وكيف كانت شدة حرصهم على اداء الفرائض ونعلمهم ونربيهم على قوله تعالى (ألم يعلم بان الله يرى) فنربطهم دائما بالله تعالى، وشدد د.الكوس على الا نظهر اليأس من اصلاح الابن فذلك يجعله يتمرد واذ اهمل الطفل الصلاة ولم تجد معه الوسائل فنهجره حتى يشعر بالذنب، كما ان بالحب والاحتضان والتربيت على الكتف والمسح على الظهر يمنح الطفل تشجيعا على الصلاة والمواظبة عليها.

وطالب د.الكوس بتدريب الطفل وتعويده على الصلاة في سن السابعة لانه انسب لطبيعة الطفل فهو يكون اسلس قيادا واسرع موافاة واميل الى التقليد ولم تغلب عليه عادات تمنعه، بل هو في طور بناء عاداته السلوكية.

وقال د.الكوس إذا لاحظ الأب أو الأم ان الضرب والعقاب يؤديان مع الطفل نتيجة عكسية، فيلجأ الابوان الى فن وأسلوب مختلف عن هذا الاسلوب، ونلاطف الابن بالكلام، فنحن بحاجة دائمة الى أن نذكرهم مرارا وننبه إلى أهمية الصلاة ونضرب لهم نموذجا في الاهتمام بأمر الصلاة، ونحضر لهم الكتب المفيدة التي تتحدث عن الفرائض وثواب أدائها والكتب التي توضح خطورة ترك الصلاة ونعلمه ان السعي الى الصلاة سعي الى الجنة.

بالحب والحنان

ويؤكد الداعية يوسف السويلم أن القدوة الصالحة لها أكبر الاثر في التزام الابناء بالفرائض، خاصة الصلاة والصيام، فليكن الأب هو المعلم والقدوة، وسيتأثر الابن ولو حتى حين، فإذا رأى الطفل حرص أبيه على الصلاة وإن حدث وتأخر يوما في نومه وقام فزعا الى الصلاة فهذا يؤكد أهمية ونجاح القدوة ودعاء سيدنا ابراهيم (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) وعند الصلاة في المنزل يقوم أحد الابناء بالأذان، ويقوم آخر بإقامة الصلاة، ويقوم الأب بالإمامة وليجعل الأب الصلاة للأبناء متعة ولا يجعلها عقابا بل يجعلها متنفسا وسعادة.

إرشاد نبوي

وحول الترغيب والترهيب لتعويد الأبناء على أداء العبادات يوضح المستشار النفسي د.مصطفى أبوسعد ذلك ويقول: بيّن الإسلام للدعاة والمربين طرقا لتحبيب الناس في الدين وحملهم على أوامره ونواهيه برفق ولين وتشمل هذه الطرق الكبار والصغار على السواء منها الترغيب والترهيب أو التوجيه والإرشاد التربوي والتشجيع والتعاون او التجريب بالمشاركة والمكافأة والثواب أو التعزير الإيجابي.

وأوضح د.أبوسعد ان إفهام الصبي ان الصلاة والصوم فريضتان كتبهما الله علينا وانهما من أركان الإسلام فالتدريب وإظهار الحكمة الشرعية والمنافع التي تحصل للمسلم من صومه وصلاته مجال واسع للإقناع والتوضيح، فالمقصود من التشجيع والتعاون إغراء الصبي بالصلاة والصوم فإذا اختار يوما لذلك في رمضان أيقظته العائلة للسحور وشجعته طيلة اليوم على إتمام الصوم، فإذا اشتد عليه شغلته بأعمال تلهيه عن التفكير في الأكل والشرب الى ان يحين موعد الإفطار، وشدد على أهمية المكافأة والثواب عند صيام الطفل وعند صلاته فقد تكون المكافأة هدية معنوية مثل الدعاء والإشادة به على ملأ من أقرانه أو في وجود الكبار من أسرته وهذا أفضل من ضربه اذا امتنع عن أداء العبادات ونشجعه من جديد ونذكره بفعل أقرانه وتقديم وعد بهدية تهدى له، أما الضرب والإهانة فسيأتيان بنتائج عكسية مع الطفل ويصاب بعقدة نفسية فعلينا ان نعامله باللين وبذكر القصص المؤثرة عن أطفال الصحابة وغيرها حتى نشجعه على أداء الفرائض.

العقاب والتأديب

ويرى الخبير التربوي ومدير تحرير مجلة النور محمد رشيد العويد ان ضرب الطفل كوسيلة للتأديب إذا ترك الفرائض يكون ضربا غير مبرح وليس عقابا ففي بدائع الصنائع: ان الصبي يعزر تأديبا لا عقوبة لأنه من أهل التأديب، ألا ترى الى ما روي عن الرسول ﷺ انه قال: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا» وذلك بطريق التأديب والتهذيب لا بطريق العقوبة، لأن فعل الصبي لا يوصف بكونه جناية بخلاف المجنون والصبي الذي لا يعقل لأنهما ليسا من أهل العقوبة ولا من أهل التأديب.

ويقدم العويد نصيحته للأم والأب بألا يضربا الطفل دون العاشرة لأنه ليس من أهل العقوبة وليس من أهل التأديب أو اللجوء الى ضرب الطفل الذي تجاوز العاشرة ليس عقابا إنما هو تأديب وفرق كبير بين العقاب والتأديب.

علاقة حب

ويؤكد د.العويد ان تأديب أبنائنا لتفريطهم في أداء الفرائض أو لأي خطأ يقومون به يكون هذا التأديب دون حاجة الى العقاب، فالعقاب ليس الوسيلة الوحيدة لمنع الطفل من ان يتصرف تصرفا مزعجا او خارجا عن حدود الآداب العامة او انه يهمل الصلاة يكون العقاب اذا استنفدت كل الأساليب الأخرى وحين يفشل الأبوان تماما في توجيه الطفل وحتى هنا ايضا في هذا الموقف قد يكون من الصعب ان يفيد العقاب ان لم يستند الأب او الأم الى علاقة حب عميقة بينهما وبين الابن ومن الأفضل البعد قدر الإمكان عن عقاب الطفل خصوصا اذا كان هذا العقاب مهينا لانسانية الطفل.

لا تضرب

وحذر د.العويد من ضرب الطفل العنيد لما له من مخاطر نفسية لا تقل أهمية عن المخاطر الصحية.

وصايا لقمان

وأكدت د.سعاد البشر ان استعراض قصة لقمان وكيفية غرسه للقيم في ابنه وراءها حكم بالغة وغايات سامية ومقاصد شريفة حيث اشتمل على فصول في الأخلاق وما يهذب النفس ويجمل الطباع وينشر الحكمة والآداب باستخدام طرق مختلفة في التربية كالحوار والحكمة والاعتبار وباستخدام اسلوب الوعظ والنصيحة وأسلوب التخويف والانذار، فقد قام لقمان عليه السلام بغرس أهم القيم في نفوس ابنه وحاول ترسيخها بالنموذج الفعال بالسلوك الموجه عند وصاياه: الصلاة (يا بني أقم الصلاة) وردد ذكر الاقامة للصلاة حيث فرق بين من يصلي ومن يقيم الصلاة فكم من مصل لا يعتبر مصليا لأنه لم يقم الصلاة، حيث أمرنا نبينا محمد ﷺ بقوله «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ونحن نعلم ان الشيطان يقعد لابن آدم في جميع طرق الخير حتى يسدها عليه.

وزادت: إن تعليم الأبناء أداء الفرائض والعبادات يكون باللين والأمر بالمعروف وبالكلمة الهادفة بالكتيب والنشرات الصغيرة التي تناسب أعمارهم ونعلمهم قيمة الصلاة والخشوع فيها ومدى تأثيرها الجسمي والروحي والنفسي على الإنسان وانها قيمة عظيمة وعمود مهم للإنسان.

وأكدت ان عملية غرس القيم تشبه عملية الزراعة تماما فالزراعة المباركة تتأثر بنوع البذر (نوع القيمة) والأرض الخصبة (الفرد حامل القيمة) والموسم المناسب لنوع البذرة (السن المناسبة) ومهارة الفلاح (قدرة المربي) وجودة الأساليب الزراعية (مناسبة الأساليب التربوية للحال) واستخدام آلات زراعية حديثة (وسائل غرس القيم).

لم تزرع وان لم يتوافر لها ما ذكر أتتها الرياح اللواقح فتثمر نباتنا مجهولا متناثرا يظل في الأرض يأكل خيرها (خصوبتها)، وتأكله البهائم أو يبس فتذروه الرياح، وكذلك الابن في مقتبل عمره ان لم يجد مربيا حصيفا وقيما سامية وأساليب تربوية ووسائل مناسبة في الوقت المناسب تنازعته الاهواء وقتله الفراغ.

وأكدت البشر أن أهم الطرق التي يستطيع الطفل من خلالها استيعاب القيم وتشربها في نفسه، بحيث تغدو مظهرا من لبنات سلوكه الحياتي (النموذج أو القدوة)، يقول الله عز وجل في كتابه الكريم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وهو خطاب شامل للإنسانية جمعاء، أما الوالدان فهما قدوة الطفل وهم منبع القيم لديه، يقول رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه».

ومن الضروري أن يكون النموذج الذي يقتدي به الطفل نموذجا صالحا يعبر عن تلك القيم لا باللسان فقط أو بالدعوة إليها، بل يجب أن تتمثل تلك القيم في سلوك الوالدين أو من يحتذي بهم الطفل، فالطفل لا يحتذي بالقول فقط، بل يعتبر بالنموذج الملاحظ له من خلال السلوك، فإذا رأى الطفل أبواه يسرعان الى الصلاة قلدهما، وقد نبه المنهج التربوي الاسلامي الى هذا الفصل بين القول والفعل بالنسبة للنموذج كما في قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا يعقلون) «البقرة 44» فالذي يتصدى لأن يكون نموذجا في المجتمع سواء على مستوى النموذج العقيدي أو على مستوى النموذج الأسري، فعليه أن يطابق بين قوله وفعله، وإلا فسيكون مظهرا من مظاهر النفاق التي تدعو الآخرين الى نبذه وعدم اتباعه، وفي هذا الصدد أشار الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه «بروا آباءكم يبركم أبناؤكم» فمن استطاع أن يستحضر سلوكا حسنا في حياته اليومية، فإنه يقدم بذلك النموذج والقدوة الحسنة لأطفاله لاستيعاب ذلك السلوك ولامتصاص تلك القيم حتى إن غفل عن الدعوة اليها أو الحث عليها.

وأكدت البشر أن استخدام الثواب والعقاب مع الطفل لكي يصلي وصوم كآلية لترسيخ القيم أو إحلال قيم جديدة محل قيم أخرى، غير مرغوب فيه على نطاق واسع من قبل الآباء والمربين، فيكافئ الوالدان طفلهما حينما يقوم بالسلوك المرغوب فيه كأداء الأمانة أو التعاون مع الاصدقاء أو المشاركة في بعض الأعمال المنزلية، وأهم شيء هو أداء الفرائض الدينية، وقد يلجأ الآباء الى معاقبته إذا لم يفعل ذلك.

وترى نظريات التعلم وعلى الخصوص النظريات السلوكية أن الثواب والعقاب لا يقتصر أثرهما على الاستجابات المعززة أو المعاقب عليها فحسب، بل أثرها يشمل الشخصية ككل، فتتكون السمات العامة والاتجاهات والقيم، كما يؤكد المنهج التربوي الاسلامي ضرورة التوازن بين الثواب والعقاب في تربية الطفل وفي حثه على أداء الفرائض الدينية، حيث أكدت الروايات الكثيرة ان اهمية الاعتدال في التعامل مع الطفل فلا إفراط ولا تفريط.

تجارب حياتية

@drjasem

د.جاسم المطوع

متدينون أخطأوا في تربية أبنائهم

قال وبحسرة تعتصر قلبه والدموع تتحدر من عينيه: أتمنى أن أخشع في صلاتي وأن أبكي فيها مثل المصلين الذين سمعت بكاءهم خلف الإمام في ليالي رمضان، ثم تابع قائلا: نحن ثلاثة اخوة في البيت وأنا أوسطهم وكان والدي يضربنا من أجل الصلاة وهو شديد علينا، وأذكر أنه كان يوقظنا لصلاة الفجر بالضرب ونحن نيام، وكنا نقوم من نومنا فزعين خائفين وكأننا في فيلم مرعب، نذهب معه لصلاة الفجر أنا واخواي من غير وضوء خوفا منه، ومازلت حتى الآن عندما أذهب للصلاة أشعر بالكراهية من شدة الضرب الذي تلقيته من والدي.

وقصة أخرى يقول لي صاحبها: ان والده كان كل يوم يناديه ويأخذ هاتفه ليراقب ما فيه ويسأله: هل فيه صور مخلة بالأدب أو أفلام سيئة؟ وكنت أجيبه بأنه لا يوجد وأنا صادق لكنه لا يصدقني ويفتش هاتفي ويأخذه عنده ليراقبه، فلما رأيته يعاملني بهذه الطريقة صرت أهتم بالصور الخليعة والأفلام الجنسية الفاضحة، عنادا مني لا حبا في هذه الأمور، وبدأت أسلك سلوكا منحرفا ومازلت حتى هذه اللحظة.

وقصة ثالثة لفتاة صارت تتواصل مع شباب تتبادل الصور والأفلام معهم من خلال الهاتف والنت، ولما سألتها عن السبب في ذلك ردت علي بقولها: ان هذا التصرف عبارة عن ردة فعل لتصرفات والدتها تجاهها، علما بأن أمها متدينة وتعطي دروسا ومواعظ دينية، الا انها دائمة التجسس على كمبيوترها وجوالها، ولا تثق في ابنتها ولا تصدق كلامها.

وقصة رابعة لرجل عمره فوق الثلاثين عاما قال لي بحسرة: انني أدخن السيجارة بشراهة بسبب والدي، فاستغربت من كلامه وقلت له: كيف ذلك؟ فقال لي: لما كنت صغيرا وكان عمري اثنتي عشرة سنة كان عندي أصدقاء يدخنون، وأنا أجلس معهم، لكني لا أدخن ولا أحب التدخين، فلما أرجع للبيت يشم أبي رائحة الدخان في ملابسي فيضربني ضربا مبرحا وينهاني عن التدخين، وأنا أقول له صدقني أنا لا أدخن لكن أصدقائي يدخنون، لكنه لا يصدقني على الرغم من كثرة محاولاتي لاقناعه، فاتخذت قرارا بأن أبدأ التدخين بما أني أضرب كل يوم ووالدي يستوي عنده الصادق والكاذب، والآن تجاوز عمري الثلاثين عاما وأنا مستمر في شرب الدخان وأنا له كاره.

هذه نماذج عشتها وشاركت في علاجها ولم يحدثني أحد بها، والقاسم المشترك فيها هو حرص الآباء على تربية الأبناء التربية الدينية، وهو هدف نبيل جميل وكلنا نتمناه وننشده، الا انهم استخدموا وسائل تربوية خاطئة بسبب جهلهم التربوي او فقرهم لثقافة التدرج والمرونة والصبر عند غرس القيم الدينية، وهذا خلاف المنهج النبوي القائل: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق» ومتين اي واسع وقوي وعميق وهذه المعاني تحتاج منا عند غرسها في أبنائنا الى رفق ولين وصبر، ولا ينفع معها الضرب والعنف والغلظة.

فليس الهدف ان نجعل أبناءنا يمارسون العبادات شكلا فقط، وإنما المقصود ان يمارسوها وهم محبون لها مشتاقون اليها، ولهذا فإن أكبر تحد في التربية الدينية هو كيفية الجمع بين حرص أبنائنا على الصلاة والعبادات مع الحب لأدائها والمحافظة عليها وهذا هدف يحتاج الى فن ومهارة تربوية.

ان ما ذكرناه من قصص واقعية عن ضحايا للتربية الدينية الخاطئة متكررة في بيوت كثيرة، وأساس هذه النتائج السلبية التربية بمنهج (الغلظة) وهو ما حذر منه الله تعالى رسوله الكريم في قوله (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)، ولهذا نجد أبناءنا اليوم ينفضون من حولنا، والكل ينادي ويصرخ: كيف نجعل أبناءنا يسمعون كلامنا او يطيعون أوامرنا؟

والجواب بسيط والمعادلة سهلة، وهي ان نعطيهم الأمن والأمان ولا نتجسس عليهم ونعاملهم باحترام ورفق ونصدقهم إذا تحدثوا ونحسن حوارهم، ففي هذه الحالة يعطوننا وهم محبون لنا الطاعة والاستجابة، والاحترام، بينما لو عاملناهم بالغلظة والضرب فقد ننجح ونفرح باستقامتهم وصلاحهم المؤقت ونحن نظن أنه صلاح دائم، لكننا نكون قد حطمنا ذاتهم ودمرنا سلوكهم وقيمتهم من حيث لا نشعر ونظن أننا نحسن صنعا.